التدخين

قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾ [النساء: ٢٩]، وقال واصفاً نبيه الكريم: ﴿**يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال رسول الله ﷺ: «**من تحسى سَّماً فقتل نفسه، فسمُّهُ في يده يتحسَّاهُ في نار جهنم خالداً مخلَّداً فيها أبداً**»[١]. وقال رسول الله ﷺ: «**لا ضرر، ولا ضرار**»[٢].

أيها الإخوة الكرام:

سامر، طالبٌ في الثانوية العامة، فرع أدبي، مُصَلٍّ، عُمره سبعة عشر عاماً، مُدخِّن، كتب يَقول: (التدخينُ عادةٌ تمارَس، وتُكتَسَب بمساعدة ظروف عِدة، أهمها: البيئةُ الأسرية والإعلام، فعندما أجد والدي ووالدتي يدخنان معاً، أَجِدُ الدخانَ متوفراً في البيت، أبدأ بتدخين سيجارتي الأولى، فلا أستسيغ طعمها، وأقذف بها، ثمَّ أنزل إلى الشارع، فأجد بعض أصدقاء الدِّراسة يذهبون خلفَ الأبنية، ومعهم عدد من السجائر يُشعلون الواحدةَ تلو الأخرى، ويَشربون منها بالتناوب، فتتحرَّك بي عناصر الغرور، وإظهارُ عدم خَوفي من الأهل بتحريضٍ مِنهم، وهكذا أبدأُ أول خُطوة ضد صحتي وحياتي، أعودُ للبيت ومشاعرُ النَّدم تقتلني، أُشعِلُ جهاز التلفاز عسى أن يُسلّيني، أجدُ فِلمَاً بَطلَه يَحمل سيجارةً في فمه، أستيقظ باكراً إلى المدرسة التي أُتمسك بها كآخر خَيط ألجأ إليه، فأجدُ المعلِّمَ يُشعل سيجارة ويَسعُل، أَكْبُر ... وتكبُرُ معي السيجارة، فَلا أعود أَقنع بها، بل أَحتاج إلى عُلبةٍ كاملة، وقد باتت السيجارةُ أفضلَ صديقٍ لي).

١- أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٧٧٨)، ومسلم في "صحيحه" برقم (١٠٩)، وأحمد في "مسنده" برقم (٧٤٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٢- أخرجه ابن ماجه في "سننه"" برقم (٢٣٤٠) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وأخرجه ابن ماجه في "سننه" برقم (٢٣٤١)، وأحمد في "مسنده" برقم (٢٨٦٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وحسنه النووي في "الأربعين النووية" الحديث رقم (٣٢).

أيها الإخوة الكرام:

هذه هي قصةُ سامر، بل هَذه قِصةُ مُعظم المدخنين مع التدخين، آفة العصر، ومَرض الوقت.

فما هو التدخين؟ وما أهم طرقه؟ وما الآثار الصحية الناتجة عنه؟ وما حكمه في الشرع؟ ...

التدخينُ: عَمليةُ تَقطيرٍ جافٍ، أي: تَحويلُ المادة الصُّلبة للتبغ إلى مادة غازِّية.

وأهم طرق التدخين: السيجارةُ، والسيجار، والغَليونُ، والسعوط، -أي: استنشاق ذرات مسحوق أوراق التبغ عن طريق الفم- والمضغُ، والنارجيلة، والتدخين السلبي -أي جلوسك مع المدخنين في جوٍّ مشحونٍ بالدخان-.

ولا يوجد علمياً تدخينٌ صحيٌ، وتدخينٌ غير صحي، فالتدخين ضارٌ وخطرٌ وغير صحي، مهما قلَّ، وبأي طريقة استُعمل، وليس الفلتر المصنوع من مادة القطن بمبعِدٍ لأخطار التدخين.

ويتركب التبغُ من أربعة آلاف مُركبٍ كيماوي، كلُّها بالإجمال ضارة، ومنها مواد شديدة الخطورة والسُّمِيَّة، ومنها الموادُ المسرطِنة.

ومن أهم هذه المرّكبات: النيكوتين، والقطران، وغاز أول أوكسيد الكربون (٢٥).

أما النيكوتين: فهو سُمٌّ فتاك، كان الفلاحون يَستعملونه في قتل الحشرات، والأوبئة التي تُصيب غراسهم، وتَكفي جَرعةُ من النيكوتين مقدارها ٥٠ ملغ، -أي: النيكوتين المستخلَص من سيجارة واحدة- تكفي للقضاء على الإنسان إذا حُقنت في دمه دفعةً واحدة.

وأما القَطرانُ: فهو مادة مُسرطنة حَتماً، وهو السببُ في حدوث سرطانات الرئة، والجهاز الهضمي، والمثانة عند المدخنين.

وأما غازُ أول أوكسيد الكربون (٢٥): فهو غازُ الاختناق كما تعلمون.

ما هي الآثار الصحيَّة الناجمة عن التدخين؟:

جاء في الطبعة الحديثة للكتاب السّنوي الإحصائي -الذي تُصدره منظمةُ الصحة العالمية- قولُ الأطباء والباحثين: (إن التدخينَ يُعتبر أكثرَ سببٍ مُفردٍ مُؤدٍّ إلى الوفاة في القرن المنصرم -القرن العشرين-).

وهو يَقتلُ كل عام اثني عشر مَليون إنسان، وإذا علمتم -أيها الإخوة- أن الحرب العالمية الأولى التي استمرت خمس سنوات، والحربَ العالمية الثانية التي استمرت ثلاث سنوات حصدتا خَمسين مليون إنسان، وإذا علمتم أن التدخين يقتل كلَّ عام اثني عشر مليون إنسان، أي: أنه يَقتل خلال ثماني

سنوات قريباً من مائة مليون إنسان، أأدركتم أن السيجار أخطر من الحربين العالميتين مجتمعتين بمقدار الضعف، في قتلها للحياة والأحياء؟!.

وسأستعرض عليكم سريعاً، بعضاً من تأثيرات التدخين الصحية والمالية:

١- يُؤثّرُ التدخين على العمر -كما مرَّ-، ومما لا شَكَّ فيه أن نسبةَ الوفيات عند المدخنين أعلى من غيرهم بحوالي ٥٥%.

٢- يُؤثِّرُ التدخينُ على الجنين والحامل والمرأةِ بشكل كامل، فنسبةُ الإجهاضات الحملية عند الحوامل المدخنات ٢٢.٥% مُقابل ٧.٤% لغير المدخنات، ويؤدي التدخين إلى ولادة أطفالٍ أقل وزناً وطولاً وذكاءً وأكثر تعرُّضاً للأمراض والوفاة، ويُنقص التدخين بآليةٍ غير مَعروفة نِسبةَ ولادة الذكور، ولَعله يُؤدّي إلى العقم، بسبب كونه سُمّاً قاتلاً للنّطاف، وكذلك لكونه يُسبب قصور المبيض، ويَتأخَّرُ طفلُ المدخنة عن مَثيله من غير المدخنة في تَعَلُّم الحساب والقراءة تسعة أشهر، وذلك بِسبب نَقص أكسجة دم الجنين، وارتفاع غاز أول أكسيد الكربون -غاز الفحم- في دمه.

٣- يُؤثر التدخينُ على الشفة والفم والجهاز الهضمي، فقد تبين أن ٩٠% مِن سرطان الشفة واللثة يحدث عند المدخنين، كما يُؤدي التدخين إلى سرطان المري، ويبلُغ سَنوياً ضحايا هذا المرض في أوربا وحدها (٢٥٠٠٠) ضحية.

٤- يُؤثر التدخين على جهاز التنفس؛ فهو يُؤدي إلى حدوث التهاب الأنف والجيوب واحتقانه، ويُصاب المدخن بالتهابات مُزمنة في البلعوم والأنف والحنجرة، وقد تَبيَّن في إحدى مؤسسات السرطان العالمية أن ١٠٠% من المصابين بِسرطان الحنجرة هم مُدخنون، أما الرئة فإن التَّدخينَ يُفَحِّمُهَا، وإن مَا يَزيد عن ٩٠% من سرطانات الرئة لها علاقة بالتدخين، وبلغت وفيات سرطان الرئة الناتجة عن التدخين في الولايات المتحدة الأمريكية وحدَها سنة ١٩٨٠م (٦٤٠٠٠) شخص.

٥- يُؤثرُ التدخينُ على القلب، أكدت مُنظمةُ الصحة العالمية أن السَّبب الثاني على ظَهر المعمورة للوفيات إنما هو أمراضُ القلب، وعلى رأسها احتشاءُ العضلة القلبية، وإن التدخين يُقدّم هذه الهبةَ للقلب، فَيُهديه الاحتشاء.

٦- يُؤثر التَّدخينُ على الجملة العصبية، فالقاعدة التي لا يَنتَطِح فيها عنزان تقول: (إن المدخنينَ أقلُّ نَشاطاً من غيرهم)، ولهذا بَاتت الشركات الكبرى تَضع ضمن شروط موظفيها: "غير مدخن".

٧- يُؤثر التدخينُ على الجهاز البولي مُؤدّياً إلى سرطانات المثانة.

٨- التدخينُ والمال: إن الشركات الكبرى للتدخين في العالم تُنفق المليارات من الدولارات من أجل صناعة التبغ وزراعته وتَرويجه والدعاية له، وهذه الأموالُ الطائلة التي تُنفَق على صناعة السموم، تَكفي لإطعام سكان الأرض كلها، والقَضاء على المجاعات، فضلاً عن الأموال الطائلة التي يُحرقها المدخنون في أفواههم هدراً وإتلافاً لأموالهم.

أيها الإخوة الكرام:

وأخيراً: ما حكم التدخين في الشرع؟ بتقديركم ماذا يمكن أن يحكُم الشرعُ على المدخن؟ ماذا يَحكم الشرعُ على مَن يُتلف قلبهَ، ودماغهَ، وسمعه، وبصره، وذوقه، وشمه، وحنجرته، ومعدته، وكبده، وكليته، ومثانته، ورئته، وقصباته، وفمه، وطفله الصغير، -وأخيراً- مالَه وعائلته.

ما رأيكم بالتدخين، وهو المسبِّبُ لكل هذه الآفات والأمراض؟.

قرأنا في أول الخطبة النُّصوصَ الشرعية التي يَدخل تحتها الدخانُ، ومنها قول الله تعالى: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾ [النساء: ٢٩]، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا ضرر، ولا ضرار**»[٣]، وقول رسول الله ﷺ: «**من تحسَّى سماً فقتل نفسه فسمُّه في يده يتحسَّاه في نار جهنم خالداً مخلَّداً فيها أبداً**»[٤].

والواقعُ أن الفقهاء في أسهل أقوالهم قالوا: إن التدخينَ مَكروه، علماً أن قَائِلِي ذلك ذكروا الكراهةَ في زمن لم تُكتشف فيه أضرار التدخين كلها، ولم يُجزَم بها.

أما عامة فقهاء اليوم فَهم يُؤكدون حُرمته لإضراره الكبير إضراراً مادياً ومعنوياً.

الوقاية والعلاج:

١- تركُ صحبة الأشرار.

٢- التحلِّي بالإرادة القوية والعزيمة الصادقة نحو ترك التدخين اللعين.

٣- القراءةُ والتعرفُ على مضار التدخين.

١- تقدم تخريجه.

١- تقدم تخريجه.

٤- عدمُ البدء بالتدخين أصلاً.

٥- القطعُ الفوري للتدخين -على عكس ما هو شائع من القطع التدريجي- واعلم أن ٦٦% من المدخنين أقلعوا عن التدخين.

٦- اِصحب الصالحين، واطلب من الله تعالى أن يُخَلِّقَكَ بأخلاق سيدنا مُحَمَّد ﷺ، ويُؤدبك بآدابه.

والحمد لله رب العالمين

* * *